

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد تعهد بحفظ دينه من التحريف والتبديل، فهياً لذلك العدول
من العلماء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكان
مُعولهم في ذلك على الصدور والسطور معا، حيث لم يقتصروا على الحفظ
وحده، وإنما اعتنوا بتدوين الكتب والتصانيف، فألفوا ما لا يكاد يحصى من
التأليف والتصانيف في شتى العلوم والفنون؛ ومنها أوضاع كتب الله لها القبول،
فشاعت وذاعت، وانتفع بها الخاص والعام؛ كما هو الحال بالنسبة لصحيح
الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، وكتاب
الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي
السبتي (ت 544هـ)؛ إذ اعتنى بهما الناس اعتناء كبيرا، وخاصة أهل بلدنا
المغرب، فقد أقبلوا عليهما إقبالا منقطع النظير، واستمر هذا الإقبال جيلا بعد
جيل إلى يومنا هذا، ومن ألوان هذه العناية شرهما، وتداولهما بالرواية، وعقد

المجالس لإملائهما وإقراءهما، فنتج عن ذلك مجموعة من المؤلفات التي دونت مضمون تلك المجالس العلمية النافعة، سُميت بالافتتاحيات والختمات، وهي مؤلفات تعتبر كالمقدمات والممهّدات والمدخل لتلك الكتب المقرّوءة، يتناول فيها مؤلفوها التعريف بالكتب المراد تدريسها والتعريف بمؤلفيها، ثم يتحدثون عن خصائص هذه الكتب ومنهج أصحابها فيها، وفي غالب الأحوال يسوقون أسانيدهم إليها.

ومن أبرز علماء المغرب المتأخرين الذين اعتنوا بصحيح البخاري وبالشفاء، عناية خاصة، وعقدوا المجالس لإقراءهما وشرحهما؛ الشيخ العلامة الشهير سيدي فتح الله بن أبي بكر البناي الرباطي (ت 1353 هـ)، فقد وضع عليهما رَحْمَةُ اللَّهِ، رسالتين مهمتين، الأولى في افتتاح صحيح الإمام البخاري، سماها: «رشد القاري بمقدمة افتتاح صحيح الإمام البخاري» والثانية في افتتاح كتاب الشفا للقاضي عياض بعنوان: «تحفة أهل الاصطفا بمقدمة فتح الشفا»، تدارس في الرسالة الأولى - رشد القاري - تعريف علم الحديث وفضله، وفضائل المحدثين، ثم تحدّث عن أول المؤلفين في ذلك، وأول من ألف في الصحيح الإمام البخاري، الذي خصّص له الحيز الأكبر من هذه الرسالة، ثم بعد ذلك انتقل إلى التعريف بكتابه الصحيح، وأورد ثناء العلماء عليه، ثم ساق أسانيد إياه، وأورد خلال ذلك ترجمة للشيخ محمد الصالح الشرقي، ثم ناقش من خلالها مسائل في غاية الأهمية.

وأما الرسالة الثانية - تحفة أهل الاصطفا - فكان سبب وضعها مرتبطاً بإملائه كتاب الشفا، وقد أكد من خلالها على أهمية الاهتمام بشمائل النبي ﷺ وسيرته، وما يجب في حقّه وما يستحيل، مُبرزاً أهمية كتاب الشفا على غيره من المؤلفات في بابه، مترجماً مؤلفه، ومُورداً سنده إليه.

وسيراً على هذه الطريق المباركة في الاهتمام بحديث رسول الله ﷺ وشمائله تم إدراج هاتين الرسالتين ضمن منشورات الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، بعد أن أُسندَ الاعتناء بهما إلى الأستاذ الأزرق الرگراگي، الباحث بالمركز، الذي بذل وسعه في ضبط نصّهما والتقديم لهما، وذلك تحت إشراف ومتابعة أستاذه الدكتور عبد اللطيف الجيلاني -رئيس المركز- والله سبحانه أسأل أن يجزي مُحققَ هذين الأثرين ومن كان له عوناً في ذلك خير الجزاء، كما أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل في سجل راعي العلم والعلماء مولانا أمير المؤمنين محمد السادس، نصره الله وأيده، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء